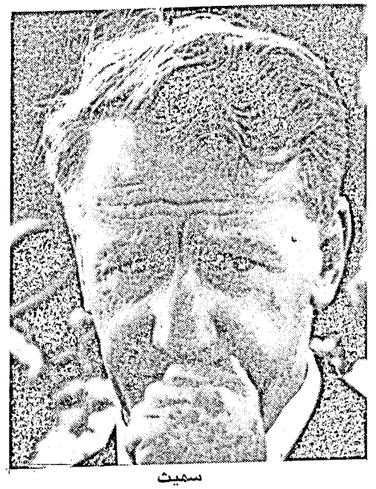
سميث

كيسنجر

المتحدة « تؤيد » حكم الاكثرية الافريقية في روديسيا ...

ذلك الاعلان الذي اراده كيسنجر دراميا ، وجد ترحيبا من الانظمة الرجعية الافريقية واستخفافا من الانظمة والحركات الوطنية التحررية . وكان ذلك متوقعا بالطبع . ولعل الرد الوطني ، الذي افصح عن ابلغ تعبير ، على مقاصد جولة الاميركي البشع في افريقيا انه عشية وصول كيسنجر كان وفد عسكري من موزامبيق يغادر البلاد متوجها الى موسكو للاجتماع الى وزير الدفاع الماريشال غريشكو (الذي صدفت وفاته المفاجئة في اليوم التالي) .

فموزامبيق التي تحتضن اليوم العمل الفدائي ضد حكم الاقلية العنصرية البيضاء في روديسيا، تلعب دور المواجهة الرئيسية ضد روديسيا . وقد نجحت في حمل بلدان المواجهة الافريقية الاخرى، الى الالتزام بخط الكفاح المسلح لتحرير شعب زيمبابوي من الحكم العنصري ، بتشكيل ما سمي بالقوة الثالثة (التي تضم بالاضافة الى موزامبيق، كل من زامبيا ، تانزانيا وبوتسوانا) وان كانت هذه الانظمة الثلاثة لا تزال بحكم ارتباطها بالغرب، تأمل باعجوبة يجترحها الساحر الاميركي ، تحلها من هذا الالتزام .

ولكن أين هو التعديل في الموقف الاميركي ؟ ان بين التعديل في الموقف الاميركي وبين محاولة تكيف مع المتغيرات السياسية في تلك المنطقة فارق اساسي ، هو الذي يفصل ايضا بين ما تصوره الولايات المتحدة لروديسيا « في الغد » عندما تزعم بانها مع حكم الاكثرية الافريقية هناك ، وبين الحكم الوطني التحرري الذي تهدف حركة تحرير زيمبابوي ارساء قواعده على انقاض حكم الاقلية البيضاء العنصرية .

فوزير الخارجية الاميركي الذي راح الى افريقيا مؤخرا ، يمثل واشنطن المرغمة على اعادة النظر في كافة حساباتها لافريقيا الجنوبية . واشنطن المرغمة على التكيف مع المتغيرات التي نشأت هناك عن جملة عوامل ، وهي متغيرات في صالح حركة التحرر الوطني الافريقية ومناهضة بالضرورة للمصالح العليا للامبريالية الاميركية . فقد فاقت التطورات في ذلك الجزء الهام من القارة كافة توقعات الولايات المتحدة : لقد سقطت كليا الامبراطورية البرتغالية ، وحققت موزامبيق استقلالها بقيادة جبهة فريليمو ، التي ترسي الان قواعد الحكم الوطني التحرري المناهض للعنصرية وللامبريالية . وانتصرت الثورة الانغولية بقيادة الحركة الشعبية ، على الغزوة الامبريالية - العنصرية . وفي هذا الانتصار الحاسم لعبت مساندة المعسكر الاشتراكي دورا رئيسيا متميزا ، بات على القوى الامبريالية ان تحسب حسابه كنهج أكده المؤتمر الخامس والعشرون للحزب الشيوعي السوفياتي ، وكالتزام أكده فيدل كاسترو في أكثر من مناسبة ، بينما كان المقاتل الكوبي يدحر الغزاة المرتزقة جنبا الى جنب مع المقاتل الانغولي و .. من دون تحفظ .

لقد فوجئت الولايات المتحدة بتلك التطورات المتسارعة في المنطقة ، خاصة خلال السنة الاخيرة، والتي حققت فيها حركة التحرر الافريقية تقدما يضعها اليوم في المجابهة المباشرة مع عنصريي روديسيا ، الحلقة الاضعف للقلعة العنصرية في افريقيا الجنوبية التي تلعب دور القاعدة الرئيسية للامبريالية العالمية في القارة . وكان متوقعا ان تهرع واشنطن تحاول التكيف مع المتغيرات الجديدة ، سعيا وراء الاهداف الامبريالية نفسها، فاعلان كيسنجر بان بلاده « تؤيد » حكم الاكثرية الافريقية في روديسيا ليس اعلان التوبة الاميركية والعودة عن الخطأ ، بل انه يعكس تعديلا تكتيكيا لتنفيذ برنامج الانقاذ الامبريالي في المنطقة .

اذ تنطلق الولايات المتحدة هناك اليوم من بضعة قناعات : ان حكم الاكثرية الافريقية أصبح أمرا لا مفر منه في روديسيا . وان تطور العمل الفدائي لثوار زيمبابوي الى حرب تحرير شعبية تطيح بالكيان العنصري فيها لن يكون بالامكان حصره في هذه الحدود ، ومنع وصول شعلة حرب التحرير الى ناميبيا (جنوب غرب افريقيا) التي تستعمرها جنوب افريقيا . وان ذلك سيؤدي بدوره الى طرح مصير اخر قلاع الامبريالية العنصرية في افريقيا .

هذه القناعات التي توصلت اليها الولايات المتحدة اجبرتها على التعديل التكتيكي في سياستها تجاه افريقيا الجنوبية . فحتى لحظة انهيار الاستعمار البرتغالي في افريقيا كانت المراهنة الاميركية ان تكسب البرتغال المدعومة من حلف شمال الاطلسي ، حروبها ضد الثورات الاستقلالية التحررية في مستعمراتها ، وان يستمر بالتالي ضمان أمن وبقاء الكيانات العنصرية في كل من روديسيا وجنوب افريقيا . ووصلت المراهنة الاميركية هذه درجة التزام الولايات المتحدة غير المعلن ، بدعم هذه الكيانات التي تخدم مصالحها الامبريالية ، الاقتصادية والاستراتيجية في المنطقة ، مع الحرص على تملق الايماني الافريقية، باتخاذ مواقف معارضة لفظية فحسب ، لسياسات التمييز العنصري في روديسيا وجنوب افريقيا ، حرصا على المصالح والنفوذ الاميركية في القارة، وبالتالي حرصا على الرجعية الافريقية الحليفة .

وكان هذا الالتزام غير المعلن قد تضمنته مذكرة سنة ١٩٧٠ الشهيرة ، التي افتضح امرها سنة ١٩٧٤ ، وقد جاءت فيها توصيتان بارزتان ،الاولى، ان تعمل الولايات المتحدة على تعزيز سيطرة جنوب افريقيا في المنطقة . والثانية ، ان لا تعير اهتماما للجهود الافريقية التي تطرح القضية العادلة ضد الانظمة العنصرية ، بحجة ان واشنطن حريصة جدا على الالتزام « بمبدأ عدم التدخل » في شؤون البلدان الاخرى (!)

التعديل التكتيكي

والتحول الظاهري بين ذلك الموقف الذي تضمنته المذكرة السياسية عام ١٩٧٠ ، خلال ولاية ريتشارد نيكسون ، وبين وقوف كيسنجر في لوساكا في الاسبوع الماضي ، ليعلن « امتناع » الولايات المتحدة عن تأييد نظام الاقلية البيضاء في روديسيا ، و « تأييدها » حكم الاكثرية الافريقية هناك ، هو تعديل تكتيكي ضروري للبرنامج الذي يبدو انها قد وضعته لمجابهة حركة التحرر الوطني الافريقية هناك .

فقد أعلن كيسنجر في لوساكا بان واشنطن ستبذل مساعيها لتحقيق « تسوية متفاوض عليها » تجنب المنطقة نشوب حرب مدمرة ... وما يعنيه نشوب حرب التحرير الشعبية الشاملة ، والدعم الذي لا بد وان تحصل عليه من المعسكر الاشتراكي، أما التسوية التي تتصورها فهي ان تتفق الحكومة العنصرية في سالزبوري مع الجناح الموالي للغرب في منظمة « المؤتمر الوطني الافريقي » في روديسيا على تحقيق حكم الاكثرية الافريقية هناك في خلال سنتين على بدء المفاوضات ، وبذلك تضمن انه اذا كان لا بد من ان تنتقل السلطة من البيض الى الافارقة كثمن لانقاذ قلعة الامبريالية الحصينة في جنوب افريقيا ، فليكن ذلك ، على أن ينشأ حكما استعماريا جديدا في روديسيا تضمن الامبريالية بواسطته ، استمرار مصالحها هناك ، ويضمن للمستوطنين البيض مصالحهم ونفوذهم ، وان كان يفقدهم امتيازاتهم الحالية الخاصة بهم كأقلية حاكمة عنصرية .

من هنا فان اعلان الولايات المتحدة « تأييدها » لحكم الاكثرية الافريقية يستهدف انجاح هذا المخطط الاستعماري الجديد . فمن بعد هزيمة الثورة المضادة في انغولا بالقيادة الاميركية ، وانهيار مفاوضات التسوية الدستورية في سالزبوري بين سميث والمنشق الموالي للغرب ، جوشوا نكومو ، تريد واشنطن زرع الوهم بانها في حل من أي التزام تجاه حكم الاقلية البيضاء في روديسيا . اذ من شأن ذلك ان يساعدها على لعب دور الوسيط المقبول ، وطرح «المبادرات السلمية » ، على أمل ان تنجح في اقناع بلدان المواجهة ، السند الضروري لحركة تحرير زيمبابوي ، باعطائها الفرصة ... كما ان من شأن ذلك أن يسهل عليها الضغط على سالزبوري لانتهاز اخر فرصة بالتخلي عن تعنتها بشأن مبدأ حكم الاكثرية الافريقية كضرورة لتحقيق التسوية الامبريالية الملائمة ، وتكون واشنطن بذلك قد كسبت الوقت لتحقيق مثل هذه التسوية اذا كان لا بد منها ، أو كسبت الوقت للعنصريين للاستعدادات القصوى لمواجهة حرب التحرير الشعبية الافريقية .

وقد تبدو هناك ثغرة واسعة في هذه الخطة الاميركية في كونها تتجاهل بان الحرب قد بدأت بالفعل ضد الكيان العنصري الروديسي ، وانها لم تعد تهديدا كامنا أو مجرد احتمال قوي ،ولكن هنا بالضبط يلعب سلاح المساعدات الاقتصادية الاميركية . فكيسنجر حمل معه الى افريقيا وعودا سخية بمساعدات أميركية لبلدان المواجهة الافريقية ، خاصة لزامبيا التي تعتبر من أكثر الانصار حماسة لاستراتيجية الوفاق العنصرية في افريقيا الجنوبية . كما انه حاول اغراء موزامبيق بهذا الطعم عندما ابدى استعداد واشنطن النظر في تقديم مساعدات اقتصادية لها ، لانها « تتحمل » اعباء ثقيلة نتيجة التزامها بقرارات المقاطعة الاقتصادية لنظام حكم الاقلية البيضاء في روديسيا (!)

يبقى واضحا ان الامبريالية الاميركية قد باشرت العمل على أكثر من صعيد لمجابهة حركة التحرير الوطني في روديسيا ، وما تهديداتها المتكررة باتخاذ اجراءات انتقامية ضد كوبا اذا ما قامت بلعب ذات الدور المتضامني الفعلي مع ثوار زيمبابوي ، الا انعكاسا لتخوفها الحقيقي من ان الاوان قد فات على امكانية تسكين جبهات القتال المتوسعة ومحاولتها تمرير التسوية الملائمة التي تتصورها . ولكن يبقى ان تستطيع حركة تحرير زيمبابوي المقاتلة ، التي تمزقها الصراعات نتيجة مداخلات الرجعية الافريقية بالدرجة الاولى ، ان تجهض محاولات التسوية الامبريالية وان تثبت بان الاوان قد فات فعلا على امكانية لجمها عن المضي في الكفاح المسلح حتى التقويض الكامل لاسس الكيان العنصري الابيض .

■■

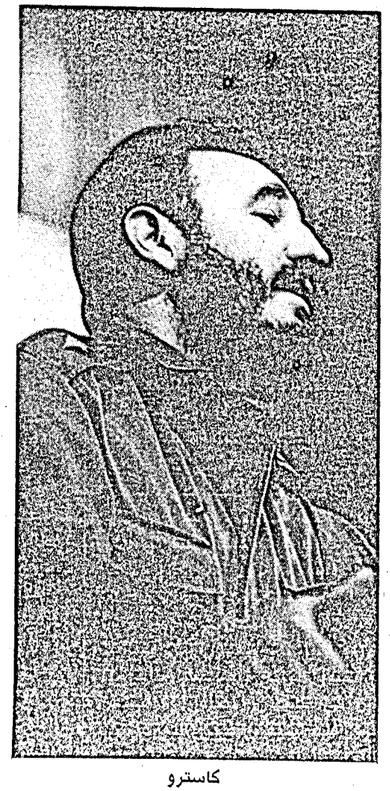
كاسترو